الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها
تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة
ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد لذلك مجالا وقبولا فاظهره اذ
استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من
هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم
في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء
الكبريا، فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل
كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد
فالصبر على الطاعة صبر على الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال
الحالة الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوايب الريا،
ودواعي الافات وعقد العزم على الاخلاص والوفا، وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف
حقيقة النية والاخلاص وافات الريا، ومكايد النفس وقد نبه صلى الله عليه وسلم اذ قال
انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى بل قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين ولهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثنا، عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه
وسننه ويدوم على شرط الادب الى اخر العمل فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا
ايضا من شدايد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا
الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه و
التظاهر به للسمعة والريا، والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط
اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر
بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج

الى الصبر عليهما جميعا وقد جمع الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هي المروة
وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد
الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث
الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان
العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان
على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله
كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء
على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي
يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم
فان ظاهر ذلك غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احديهما نفي الغير
والاخرى اثبات نفسه وبها يتم الربوبية التي في طبعه وهو ضد ما امر به من العبودية
ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر
الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم
الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق
لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد
من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة
والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع
المخالطة ويختلف شدة الصبر في احاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في
قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم

Copyright © King Saud University